سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ١

محاضرة بعنوان

الأصول الجامعة

لفهم أدلة توحيد العبادة

في مسجد الحرم المكي يوم الجمعة الموافق
١٤٤٧/٧/٢٠هـ - ٢٠٢٦/٠١/٠٩م

معالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

وزير الدولة عضو مجلس الوزراء

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأول

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم.

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له المَلِكُ الحقُّ المُبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورَسولُه، وصَفيُّه وخَليلُه، صَلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصَحْبِه وسَلَّمَ تَسليمًا كَثيراً:

أمَّا بعدُ:

فأسألُ اللهَ جَلَّ وعَلا أن يَزيدَني وإيَّاكم عِلماً، **اللَّهُمَّ زِدْنا عِلْمًا نافِعًا، اللَّهُمَّ زِدْنا عِلْمًا نافِعًا**".

ثمَّ إنِّي في فاتحة هذه الدَّوْرةِ الشِّتويَّةِ التي تُقامُ في رِحاب المَسجد الحَرام لهذا العام (١٤٤٧) من الهجرة في شهر رجب منه، إنِّي لأذكرُ اللهَ جَلَّ وعَلا وأشكرُه على أن هيَّأ لي ولكم وللعاملين على إنفاذ هذه الدَّورة والدُّروس.

أسألُه سبحانَه لنا جميعًا التَّوفيق والسَّداد، وأشكرُه جَلَّ وعَلا أن هيَّأ لنا من أمرنا رَشداً، وأسألُه المزيدَ من فَضله، وأن يَنفعَنا وإيَّاكم بهذه المَجالس العِلميَّة التي تَحفُّها المَلائكةُ ويَذكرُها اللهُ جَلَّ جَلالُه.

حقُّ اللهِ جَلَّ وعَلا: التَّوحيد:

أيُّها الإخوةُ الكِرامُ، لا شكَّ أنَّ طالبَ العِلم الذي يَقرأُ القُرآنَ ويُعظِّمُه ويُجلُّه، ويَجعلُ له من حياتِه ولِسانِه وسَمْعِه وبَصَرِه نَصيبًا، لا شكَّ أنَّه يَجدُ أنَّ أعظمَ ما في القُرآنِ هو حقُّ اللهِ جَلَّ وعَلا بتَوْحيدِه سبحانَه: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد: ١٩].

حقُّ اللهِ جَلَّ وعَلا الذي قامت عليه السَّماواتُ والأرضُ.

حقُّ اللّهِ جَلَّ وعَلا الذي خَلَقَ الجِنَّ والإنسَ لأجلِه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ يعني إلَّا ليُوحِّدوني بعِبادتِي.

حقُّ اللّهِ جَلَّ وعَلا في القُرآنِ بطاعتِه وامتثالِ ما أوجبَ وفَرَضَ وقَضَى من تَوْحيدِه جَلَّ وعَلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ [البقرة: ٢١]، و ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣].

تَوْحيدُ الرَّبِّ جَلَّ وعَلا بأفعالِنا، بأفعالِ النَّاسِ، هذا هو حقُّ اللهِ جَلَّ وعَلا ألَّا يُعبدَ إلَّا اللهُ، لا يَتوجَّه القَلبُ بالدُّعاءِ ولا بالرَّجاءِ ولا بالاستغاثةِ ولا بطلبِ النَّفعِ ولا بطلبِ دَفْعِ الضُّرِّ ولا بأنواعِ المَطلوباتِ في الدُّنيا والآخرةِ لا يطلبُها إلَّا من اللهِ جَلَّ وعَلا وَحدَه، ليس لأحدٍ حقٌّ في الدُّعاءِ؛ الدُّعاءُ الذي هو طَلَبُ جَلْب الخَير المُطلَقِ ودَفعِ الضُّرِّ المُطلَقِ إلَّا اللهَ جَلَّ وعَلا، لا يَستحقُّ هذا الطَّلبَ في جَلْب الخَير ودَفْع الضُّرِّ لا نبيٌّ مُرسَلٌ ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، لا صالحٌ من عبادِ الله، ولا وَليٌّ ولا عالمٌ ولا ذو شأنٍ لا يَستحقُّ أحدٌ الدُّعاءَ والرَّغبةَ بدَفْع الضُّرِّ وتَحقيق المَطلوب إلَّا اللهَ جَلَّ وعَلا.

أهميَّةُ عِلمِ التَّوحيد:

لذلك كان أهمَّ العُلومِ على الإطلاقِ هو: العِلْمُ بما جاءت به المُرسَلون جَميعًا من أوَّلِهم إلى آخِرِهم.

ومن المُتقرِّر المَعروف الظَّاهر البَيِّن في القُرآن المُتكرِّر: أنَّ المُرسَلين جَميعًا إنَّما جاءوا بتَحقيقِ كَلِمةِ "**لا إلهَ إلَّا اللهُ**": ﴿**اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩]. وهذا هو الذي سمَّاهُ العُلماءُ [**تَوْحيدَ العِبادةِ**]؛ يعني تَوحيدَ اللهِ جَلَّ وعَلا بأفعالِ العِبادِ:

❁ ألَّا يُعبَدَ إلَّا اللهُ بأفعالِك.

❁ ألَّا تَعبُدَ إلَّا اللهُ بأفعالِك.

❁ ألَّا تَدعُوَ إلَّا اللهَ، ألَّا تَرجُوَ إلَّا اللهَ رجاءَ العِبادة.

❁ ألَّا تَخَفْ خَوْفَ السِّرِّ إلَّا من اللهِ جَلَّ وعَلا.

❁ ألَّا أحدَ يَملِكُ لك على الحقيقةِ ضَرًّا ولا يَملِكُ لك على الحقيقةِ نَفْعًا إلَّا اللهَ جَلَّ وعَلا وَحدَه.

فتَوْحيدُ الرُّبوبيَّةِ هو تَوْحيدُ الإلهيَّةِ، والتَّوحيد هو مَعنى كَلِمة **"أحدٌ"**، ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١]؛ يعني هو سبحانَه واحدٌ في رُبوبيَّته، واحدٌ في إلهيَّتِه، واحدٌ في أسمائه وصِفاته، هو أحَدٌ مُستحقٌّ للرُّبوبيَّة وَحدَه يعني أن يكون هو الخالقُ وَحدَه وهو كذلك جَلَّ جَلالُه وهذا من الظَّاهر البَيِّن عند ذَوي الفطَر السَّليمة، وهو اللهُ جَلَّ وعَلا أحدٌ في أُلوهيَّتِه يعني هو الواحدُ المُستحقُّ، لأن يُعبَدَ بحقٍّ دونَ ما سِواه وهو الأحدُ في أسمائِه وصِفاته ليس له جَلَّ جَلالُه شَبيهٌ في صِفاته، مَثيلٌ في صِفاته، ولا مَثيلٌ في أسمائه سبحانَه وتعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].

لأصولُ الجامعةُ لِفَهْمِ أدِلَّةِ تَوْحيدِ العِبادة:

لذلك نَجدُ أنَّ عِلْمَ التَّوحيد، تَوْحيدَ الإلهيَّةِ، تَوْحيدَ العِبادةِ الذي جاءت به الرُّسُلُ بالأصالةِ والعُلومُ جَميعًا تَبَعٌ له، هذا القُرآنُ مَملوءٌ منه بأنواعٍ منه التَّقريرُ ومن الوَصف.

هذه المُحاضرةُ هي مَعنونةٌ بـ

- (**الأصولُ الجامِعةُ لِفَهْمِ أدِلَّةِ تَوْحيدِ العِبادةِ**)؛

أو (**الأصولُ الجامِعةُ لِفَهْمِ أدِلَّةِ تَوْحيدِ الأُلوهيَّةِ**).

مَعلومٌ أنَّ أهلَ العِلْمِ في كُتُبِ تَوْحيدِ العِبادةِ: بَيَّنوا لنا التَّوحيد ومَعناه، وبَيَّنوا لنا ضدَّ التَّوحيد، والشِّركَ الأكبرَ والأصغر، ووسائلَ الشِّرك، وبَيَّنوا لنا أدلَّةَ هذا وهذا وبَيَّنوا لنا تَفاصيلَ ذلك.

لكن لمَّا كان عِلماً كما تَرَوْن عِلماً كَثيراً مُفصَّلاً في كُتُب أهل العِلْم سيَّما مع ازدياد الحاجةِ له في القُرون المُتأخِّرة كان من اللَّوازم لطالب العلْم أن يَفهمَ أصولاً يُمكنُه معها -يُمكنُه مع هذه الأصول- أن يُقيمَ الأدلَّةَ ويُحسنَ الاستدلالَ.

مَعلومٌ الأدلَّةُ كَثيرةٌ في القُرآن لكن قوَّةَ الاستدلال بها وفَهْمَ الاستدلال بها يَحتاجُ إلى فَتْح الفَهْم للأصول.

ومَعلومٌ أنَّ كلَّ عِلْمٍ قد وُضعتْ له أصولٌ تُسهِّلُ فَهْمَه:

- فالتَّفسيرُ له أصولُ التَّفسير لتَسهيل فَهْمه.
- والحديثُ له مُصطلَحُ الحديث لتَمييز الحديث الصَّحيح من غيره.
- والفِقهُ له أصولٌ تُمكِّنُك من الاستدلال على المَسائل الفقهيَّةِ.
- وللغة العربية أصول: للنحو أصول، وللبلاغة كتب إلى آخره.

فالتَّوحيد فيما عانيتُه ونظرتُ الكل يقرأُ فيه، الكل ينظر في كتبه، سواءً في الكتب الأساسية، أو في كتب التفاسير، أو في كتب الحديث، أو في كتب الردود على المُخالفين في التَّوحيد المخالفين في أصوله أو المخالفين في فروعه، أو المُخالفين في الوقوع في الشِّرْكِ، إما الشِّرْكُ الأكبر أو وسائل الشِّرْكِ الأكبر.

لكن جمع الأصول التي يكون معها فهمُ الأدلة وترتيب الأدلة في الذِّهن حتى تكون حجتك قوية: لا بد أن يكون هناك أصول تُسهِّل لك هذا الفهم وتقوي لك الحجة، تقوي الحجة معك، لأن الله جَلَّ وَعَلَا جعل الحجة له: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، حُجَّته سبحانه وتعالى بكتابه في كل ما جاء فيه، قدراً وشرعاً، توحيداً وشريعةً، خبراً وأمراً، لله سبحانه وتعالى الحجة فيه.

فرأيتُ أن من الحاجة تبسيط هذا الموضوع الذي لا يُوجد مجموعاً على أصوله كأصول العلوم الأخرى في كتاب مُستقل وهو حقيقٌ بذلك؛ ليتيسر لطلاب العلم النظر في هذا الأمر المهم، وجدتُ أنه من الضروري أن يكون هناك تبسيط وتقريب لأصولٍ جامعةٍ لفهم أدلة توحيد العبادة، وفهم الاستدلال لتوحيد العبادة بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية الشَّريفة.

لذلك هذه الكلمة نَعدُّها مدخلاً وليس تفصيلاً لهذا العلم، نعدُّها مدخلاً لفهم هذه الأصول ونعدُّها تأسيساً لفهم هذه الأصول.

إذا تبين ذلك فإننا نقول:

إنَّ هذا العلم وهو العلم بأصول الاستدلال لمسائل التَّوحيد مهم جداً وأسباب أهميته:

أولاً: أن التَّوحيد وأدلة توحيد عبادة هي أعظم ما في القرآن من الأدلة: ابتداءً من سورة الفاتحة إلى سورة الإخلاص والمعوذتين، أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي التي تُفتتح بـ ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. سورة الفاتحة هي أم القرآن والله جَلَّ وَعَلَا فيها قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] يعني توحيداً لك في إلهيتك وربوبيتك، وقال

جَلَّ وَعَلَا بعدها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] يعني مِن أهل الإسلام والإيمان من الرسل السابقين وأتباع الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

الأمر الثاني: من أسباب أهمية هذا الموضوع: أن الالتباس فيه يقع كثيراً، وأكثرُ ما يقع الالتباس بتسويل الشَّيْطَان أو أولياء الشَّيْطَان يكون في أهم الأمور وهو توحيد الله جَلَّ وَعَلَا، لذلك لمَّا كان الالتباس فيه يقعُ والتَّشَوُّش والتَّشْويشُ في فهم آياته يقع، كان من الضروري أن نتذاكر به، وأن يكون له علم خاص يُدَرَّسُ ويُحفظ وأن يكون الأصول في الاستدلال له حاضر بيِّناً واضحاً جلياً لطلبة العلم.

أيضاً من أهميته: أنك يكون عليك الأمر أسهل في إقامة الحِجَّة لأن الحجة تقام على الخلق بالتَّوحيد، وبطاعةِ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، هذا أهم ما في الإسلام، شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

شهادة لا إله إلا الله معناها: يعني أُخبر وأُوقن وأعتقد بأنه لا أحد يستحق العبادة إلا الله جَلَّ وَعَلَا وحده، لا ملك مقرب ولا نبيٌّ مُرسل ولا ولي ولا صالح ولا أحد مِن خلق الله جَلَّ وَعَلَا من الملائكة أو الجن أو الإنس.

وأشهد أن محمداً رسول الله: يعني: أقر وأخبر وأوقن وأعتقد أن محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم هو رسول من الله حقاً أرسله الله جَلَّ وَعَلَا، وأوحى له بهذا القرآن العظيم وبيَّن له المطالب العظيمة التي أعظمُهَا التَّوحيد ثم التعبُّد بالشريعة المحمدية الإسلامية.

إذا كان الأمر كذلك فإن المُخالفين يكثرون في كل زمان، والواجب إقامة الحجة عليهم:

وإقامة الحجة: **تارةً تكون بتلاوة القرآن**: القرآن وحده حجة قد تكون كافية في حق البعض وقد لا تكون كافية في حق البعض، لكن الله جَلَّ وَعَلَا قال لنا في سورة الأنعام: ﴿**لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩] يعني لأُنذركم به أيها الناس ومَنْ بلغه هذا القرآن لأنه بيِّن واضح جلي لا لبس في أدلة التَّوحيد كما سيأتي بيانُه.

الأمر الأخير من أهمية هذا الموضوع: أننا نرى أن هذا الزمن الذي هو زمنُ العلم بمفهوم كبير، وزمن يقظة العقول بالبُعد عن الخُرافة، وزمن فهم الناس لما هو قريبٌ من تخليص الإنسان من عبوديته للإنسان ومِن تبعيته الكاملة لإنسان مثلِهِ، نجد أن هذا الزمن زاد فيه الخَلَلْ وزاد فيه الغلط وزادتْ فيه عبودية الإنسان للإنسان وزادت فيه الخُرافة، الأشياء التي بالعقل لا يُمكن أن تُقبل، فصار الإنسان في عقلِهِ مضروبـًا، في عقله مُؤثَّراً عليه بأن يأتي أشياء لا علاقة لها بما هو واجب عقلاً عليه: فنجد أنه أُحييت المَعابِد من جديد، وأُحييت الأضرحة من جديد، وعُظِّمت وعُمل لها الاحتفالات وعُمل لها الكثير من الدعاية ليضل الناس بغير علم ولا هدى من الله.

والجواب عليهم والردود عليهم: يجب أن تحملوه أنتم يا طلبة العلم، أعظم مِن أن تعظ بمواعظ وبرقائق وبأذكار، وأعظم مِن أن تعِظ في عبادات ونحو ذلك هي أعظم، الكل عظيم ولكن هذا أعظم لأنه التَّوحيد الذي هو حقُّ الله جَلَّ وَعَلَا على العبيد، ولذلك كيف تُقيم الحُجَّة وكيف تُبين المَحجة وكيف تُبين أن ما يفعله هؤلاء من اعتقاد النفع والضر بالأولياء المقبورين واعتقاد في الصالحين بأنهم يُجيبون مَنْ دعاهم، وأنهم يُبلغون من أتاهم زُلفى إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وأنهم يشفعون في الدنيا لمن أتاهم في قبورهم ونحو ذلك من الخرافات

المناقضة لأصل الدِّين والقرآن والسُّنة، يجب أن تكون أولاً عالماً بالأدلة أدلة من القرآن تحفظها، تحفظها أدلة التَّوحيد تحفظها، ثم ما سنقوله في هذه المحاضرة من فَهْم كيفية الاستدلال بالأدلة على مسائل التَّوحيد، وهذه مِن أعظم المهمات أن تكون مستيقناً بما تحملُه من الدَّعوة، الدعوة إلى الله جَلَّوَعَلَا شرفٌ عظيم وأن تحملها هذا شرف عظيم، والدَّعوةُ متجزئةٌ، ليستْ أن تكونَ عالماً كاملاً حتى تكونَ داعيةً، لا، تَدعو إلى اللهِ بما علمتَ، مَنْ عَلِمَ التَّوحيد دَعا إليه، ومَنْ عَلِمَ السُّنَّةَ دَعا إليها، ومَنْ عَلِمَ القرآنَ دَعا إليه، ومَنْ عَلِمَ القرآنَ علَّمه، «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وهكذا.

فإذاً لا بدَّ من وجود الحُجَّة للتَّوحيد بفهم أدلَّته، لا يكفي أن تقولَ الدَّليلُ كذا والدَّليلُ كذا، لا بدَّ تُشاركُ أهلَ العِلم في الدَّليل حتى تُوضِّحَه، وتوضِّحَه للنَّاس وللواقعين في كثيرٍ من الضَّلالات.

هذه أوجهٌ لأهميَّة هذا الموضوع، وكما ذكرتُ لكم المحاضرةُ مَدخلٌ، يعني ليستْ المحاضرةُ ليستْ عِلماً كاملاً، لكن مَدخلٌ وسيتبعُها إن شاءَ اللهُ تعالى تفصيلٌ لهذا الموضوع المُهمِّ في دروسٍ ومؤلَّفاتٍ إن شاءَ اللهُ منِّي ومن غيري من أهل العِلم، لكي يظلَّ هذا العلمُ محفوظاً ويفهمُ أهلُ العلم الأدِلَّةَ وكلامَ العُلماء فيها ويفهمون الحِجاج والرُّدودَ على المخالفين والواقعين في الشِّرْكِ والقبوريَّةِ والغُلُوِّ في الأولياءِ والأنبياءِ والصَّالحين.

مدخل إلى الأصول الجامعة «فهم المفردات»:

هناك مَدخلٌ لهذا العِلمِ:

أوَّلُ هذا المَدخل - قبل أن نأتي لأصولِ الأصولِ الجامعةِ، المَدخلُ أوَّلاً لطالب علم

تَوْحيدِ الإلهيَّةِ لكي يفهمَه لا بدَّ أن يفهمَ المفردةَ المستعملةَ فيه فهماً قويّاً يُميِّزُ المفردات عن غيرها.

١. مفردة (**التَّوحيد**):

أوَّلُ هذه المفرداتِ التَّوحيد، التَّوحيد، كلمةُ التَّوحيد كما ذكرتُ لكم في القرآنِ من **"أحدٍ"**، وفي السُّنَّةِ روى البخاريُّ في الصَّحيحِ وغيرُه وجعلَه البخاريُّ في أوَّل كتابه التَّوحيد من صحيح البخاريِّ، «صحيحُ البخاريِّ» جعلَ في آخِر «صحيحِه» جعلَ كتابَ التَّوحيد، أوَّلُ حديثٍ هو حديثُ -حديثُ معاذٍ-: «**إنَّكَ تَأْتي قَوْماً أهْلَ كِتابٍ، فَلْيَكُنْ أوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ إلى أنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**» وفي روايةٍ: «أنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ».

البخاري أخذَ لفظةَ: «**أنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**» فجعلَ عليها باباً والكتاب سمَّاهُ «كتابَ التَّوحيد» وهو آخِرُ كتابٍ في "صحيحه".

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لمَّا كان في الحجِّ، قالَ الصَّحابةُ: «**أَهَلَّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بِالتَّوحيد**» يعني أنَّ كلمةَ التَّوحيد موجودةٌ في القرآنِ في سورةِ الإخلاصِ **"أحدٌ"** وموجودةٌ في السُّنَّةِ في أكثرَ من حديثٍ.

التَّوحيد ما معناه؟

أن تجعلَ اللهَ جَلَّ وعلا واحداً في أُلوهيَّتِه يعني واحداً في استحقاقِه للعبادة.

٢. مفردة (**العبادة**):

العبادةُ: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه اللهُ ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهرة والباطنة، يعني أنَّ كلَّ قولٍ أو فعلٍ يحبُّه اللهُ جَلَّ وعلا ويرضاه، أو اعتقادٌ يحبُّه اللهُ ويرضى فإنَّه عبادةٌ.

لذلك العُلماءُ عرَّفوا العبادةَ بتعريفاتٍ مختلفةٍ، أحسنُها وأمثلُها **وأضبطُها تعريفان**:

❁ **التَّعريف الأصولي**: وهي أنَّ العبادةَ **"ما أُمِرَ به من غيرِ اطرادٍ عرفيٍّ ولا اقتضاءٍ عقليٍّ"**، يعني ما أمرَ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أو أمرَ به أيُّ رسولٍ من غيرِ ما تطَّردُ به عادةُ النَّاس البحتة، ومن غير أن يقتضيَه عقلُ النَّاس، لأنَّ أصلَ العبادة خارجةٌ عن الاطراد العرفيِّ وخارجةٌ عن اقتضاء العقل.

الصَّلاةُ في اللُّغةِ: الدُّعاءُ والثناء، مثلَ ما قالَ الأعشى: **"عليكِ مِثلُ الذي صلَّيتِ فاغتبطي"** يعني دعوتِ وأثنيتِ.

التعريف الثاني الجامع (**للدُّعاء**): هو ما ذكرَه شيخ الإسلام في أوَّلِ كتابِه **"العبوديَّةِ"** حيثُ قالَ: **"الْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ"**. فأدخلَ ثلاثةَ أشياءٍ: القولُ والعملُ وما يكونُ في القلب من اعتقاداتٍ وأعمالٍ للقلوبِ؛ هذه كلُّها عبادةٌ.

أمثلة: التَّوكُّلُ عبادةُ القلب، ليس قولاً وليس فعلاً إنَّما هو قلبيٌّ.

اليقينُ، الاعتقادُ، الإخلاصُ، التَّوجُّه، الرَّجاء، الخوف، الرَّغبة، الرَّهبة؛ هذه كلُّها عباداتٌ قلبيَّةٌ.

٣. مفردة (**الدعاء**):

الدُّعاءُ: هو العبادةُ مثلَ ما جاءَ في القرآنِ، قالَ اللهُ جَلَّ وعلا في سورةِ مريم لمَّا أخبر في قصَّةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ قالَ: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ [مريم: ٤٨]، قالَ جَلَّ وعلا بعدها: ﴿**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾

[مريم: ٤٩]، هو قالَ "**وما تَدعون**"، ثمَّ قالَ اللهُ "**وما يَعبدون**"؛ فدلَّ على أنَّ الدُّعاءَ هو العبادةُ.

الدُّعاءُ معناه: الطَّلبُ –هذه ألفاظ مهمة في عِلم توحيد الإلهية– أيُّ طلبٍ من أحدٍ يقالُ له دعاءٌ، فإذا طلبتَ شيئًا ممَّن يَقْدِرُ عليه فتكونُ دعوتَه إلى وليمةٍ، دعوتَه للحضور، فلان تعال، شيءٌ يَقْدِرُ عليه ويأتي به، تأتي إلى طبيب فيما يقدر عليه وتطلُب منه، هذا نوع من أنواع الدعاء لكن ليس الدعاء المقصود في توحيد الإلهية.

لكن الدُّعاءُ المقصودُ في تَوْحيدِ الإلهيَّةِ هو: طلبٌ مقترنٌ برغبةِ القلب وخضوعِه في جلب النَّفعِ ودفع الضُّرِّ إذا خضع القلب وطلب نفعًا خفيًّا وطلب دفع ضُرٍّ خفيٍّ فهذا يُسمى (**الدُّعاء**): فدعاءُ الذين يدعون الغائبين من الموتى أو الأولياءِ أو نحو ذلك، يطلبون منهم وهم غائبون، فهذا يسمى دعاءً، وهو طلبٌ لشيءٍ ما.

ومن الدُّعاءِ: الاستغاثةُ، الإعانةُ، طلبُ المغفرة، طلب جلب الخير طلب النجاة من النار، طلبُ الجنَّة، ونحو ذلك من أنواع طلب الإنسان في الدُّنيا والآخرة.

٤. مفردة (الشرك):

هنا نأتي إلى اللَّفظُ الأخير وهو (**الشِّرْكُ**) الذي يضادُّ التَّوحيد؛ الشِّرْكُ لفظٌ جاءَ في القرآن كثيراً:

قالَ جَلَّ وعلا: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

وقالَ جَلَّ وعلا: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٩١].

بهذا نكون قد أوضحنا المفردات الأساسية قبل الدخول في الأصول الجامعة.

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿**وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ**﴾ [سبأ: ٢٢]. ولفظُ "الشِّرْكِ" كثيرٌ جدًا،

والشِّـرْكُ يعنـي أن يكـون هنـاك اشـتراك، اشـتراك في صـرف العبـادة لله ولغيـره، فهـذا يُسـمى تَشْريك، ويُماثله النِّد، يُماثله النِّد، أن تجعل لله نداً، كما قـال جَلَّوَعَلَا: ﴿**جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً**﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ونحو ذلك.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ سُئِلَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» ؛ يعني نداً يعني شريكـًا في التوجه بالعبادة.

الند: يعني المَثيل والنظير يكون مع المساواة ومع غيرها، تقول "هذا ندٌّ هذا" إذا كان مساويـًا له، وإذا لم يكن مساويـًا له، يعني ند كامل ولا ند في شيء.

والشِّرْكُ منه: ما هو أكبر مُخرِج من الملَّة: وهو دعوة غير الله معه -يعني أن تدعو غير الله- الاستغاثة بغير الله، أن تطلب من غير الله من الأموات جلب نفع أو دفع ضر، أو أن تطلب من الجن الذين لا تراهم ولا تعرفهم تطلب منهم دفع ضر أو جلب نفع، أو تطلب من الملائكة، أو تطلب من غائبين تظن أن لهم الكرامة بأن يسمعوا قولك، وأن يجيبوك، هذا كله داخل في الشِّرْكِ بالله جَلَّوَعَلَا الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى، لأن هذا الذي نهى الله جَلَّوَعَلَا عنه.

أيضاً من الشِّرْكِ: اتخاذ الوسائط، أن يجعل هناك واسطة بينه وبين الله جَلَّوَعَلَا، هذا هو أصل شرك المشركين، كما قال الله جَلَّوَعَلَا في أول سورة الزمر: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: ٣]، ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ**﴾ يعني لعلة من العلل: ﴿**إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ**﴾، نريد منهم القربة، وسيأتي في المسائل إن شاء الله تعالى إيضاح أكثر لنوع الاستدلال.

إذا تبين هذا في هذه المفردات، فإننا ندخل إلى صُلب الموضوع، وهو ما هي الأصول التي بفهمها يُمكننا فهم الأدلة في التَّوحيد، ويُمكننا بها أن نقيم الحجة على من خالف في التوحيد، وهذا أعظم المطالب لطالب العلم، لو لم تحصل من العلم إلا هذا العلم، بفهم أدلة التَّوحيد في القرآن وكلام المفسرين، وفهم أدلة التَّوحيد وكلام أهل العلم، أهل التحقيق في التَّوحيد وفي فهم معانيه، لكان ذلك عظيمًا وزلفى لك عند الله جَلَّ وَعَلَا في جنات النعيم.

الأصل الأول: أدلة التوحيد في القرآن محكمة:

الأول: أن أدلة التوحيد في القرآن مُحْكَمَة.

ما معنى محكمة؟ يعني أنها ليست من المتشابه، ولا يدخلها المتشابه، أدلة التوحيد محكمة يعني بينة واضحة لا لبس فيها، لا لبس فيها.

أعظم واجب هو التوحيد، فكيف الله جَلَّ وَعَلَا يُنزِّل حجته على عباده مع رسله بأدلة فيها اشتباه؟ هذه لا يدخلها الاشتباه، ولا تكون من المُشتبِه -بإجماع أهل العلم- لأن هذه أول مطلوب، وهو الذي يُفرِّق بين المسلم وبين غير المسلم. والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿**لِيُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩]، مَن بلغ، يعني أي واحد عالم غير عالم ما دام يفهم اللسان العربي ويفهم أدلته هو داخل في هذا.

فإذًا أولاً: هي مُحكمةٌ بمعنى: لا يدخل فيها المتشابه.

أيضًا مُحكمةٌ؛ لأنها لا تبديل فيها ولا تغيير، كل الرسل جاءت بهذه الأدلة. الرسل دينهم واحد، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، الدِّينُ وَاحِدٌ وَالشَّرَائِعُ شَتَّى**».

فقوله: «**الدين واحد**» يعني العقيدة واحدة، التوحيد واحد. كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا**

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، كل الأمم جاؤوا بهذا الشيء الواحد الذي هو أدلة التوحيد ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، لا أحد يستحق العبادة إلا الله، من عبد غير الله فهو مشرك، من عبد غير الله فهو كافر ظاهرًا، هذا لا بد أن يكون بينًا واضحًا لا لبس فيه.

الأنبياء كلهم جاؤوا بهذه الأدلة، وكُلهم جاؤوا بهذا الدِّين، قال الله جَلَّ وَعَلَا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، يعني أمة يعني إماماً للناس، ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]؛ "حنيفًا" يعني مائلاً عن طريق الشرك، قانتًا لله وحده، مائلاً عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد، عن سبيل الكفر والشرك إلى سبيل التوحيد، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الثالث: **مُحكم بمعنى**: لا يدخله النَّسخ لا في أصوله ولا في فروعه.

أدلة التَّوحيد مُحكمة، يعني لا يدخلها النَّسخ في أصولها ولا في فروعها -يعني توحيد العبادة- لا يدخلها النسخ، لكن في بعض الألفاظ قد يكون فيها نسخ مثل **القسم وغيره**، يكون فيها نسخ، لكن أدلة توحيد العبادة نفسها: وهو استحقاق الله جَلَّ وَعَلَا وحده العبادة فهي أدلة محكمة ليست من المتشابه البتة وليست مما يدخله النسخ البتة.

فإذًا تَطْمَئِنُّ أنك تستدلُّ بشيءٍ واضحٍ بَيِّنٍ، إذا لم يكُن واضحًا وبَيِّنًا فيكون إذًا الخَلَلُ من جهتين:

- إما من عدم وضوحِها عند المتلقِّي.

- **أو من عدم إيضاحِك له ما يجب من دليلِ التَّوحيدِ.**

لذلك العلماء يقولون ماذا في التَّوحيدِ؟

يقولون: لا بد من إقامة الحُجَّةِ، وإقامةُ الحُجَّةِ ليس معناها إقامة القناعة ليس معنى إقامة الحُجَّةِ أن يكون المُتلقِّي مُقتنعـًا يقول: "أنا ما اقتنعت"، ليس ضروري يقتنع المُهِم أن تبذل جُهْدَكَ في أن توصِل له أدلة التَّوحيدِ بَيِّنةً من القرآنِ والسُّنَّةِ، وأن تكون مُجيداً للاستدلالِ بها، فاهم كيف تستدلُّ بها.

لكن إذا قال: ما اقتنعت هذا ليس حُجَّةً، لذلك قال الله جَلَّ وَعَلَا في سورة الكهف التي نقرؤها كلَّ جُمعةٍ لمن شاء قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ**﴾ [الكهف: ٥٧]، يعني أكنَّةً أن يفهموه، لماذا؟ **لأن الفَهْم نوعان: فهمُ استماع وفهم انتفاع.**

هم يسمعون ففهموا، لكن لم ينتفعوا، ففهمُ الانتفاعِ وفقهُ الانتفاع هذا ليس شرطًا، لكن فقه الكلام وفقه الحُجَّةِ هذا ضروري؛ يفقه الحُجَّةَ، يفقه الكلام، يفقه اللغةَ، يفقه المعاني ضروري، لكن كون أن تكون الحُجَّةُ عنده أقوى من حُجَّةِ الخصوم، هذا دورُه هو، دورُه هو أن يَجعل نفسه لله ويُجاهد في أن يكون مُتبرِّئـًا مِن غير الله جَلَّ وَعَلَا، مُقْبلاً على الله حتى ينتفع بحُجَجِهِ.

بهذا نكون قد انتهينا من تأصيل قاعدة "**إقامة الحجة**" والفرق بين فهم الاستماع وفهم الانتفاع.

الأصل الثاني: أدلة توحيد العبادة حَاكِمَة لا مَحْكُومة:

الثاني من الأصول: أنَّ أدلة توحيد العبادة حَاكِمَة لا مَحْكُومة، حَاكِمَة على غيرها لا مَحْكُومة بغيرها.

"**حَاكِمَة**" بمعنى أنَّها هي التي لها السلطان والبرهان على أيِّ دليلٍ يظنُّه الناس دليلاً.

بعض الناس جعلوها مَحْكُومة بقواعد عقلية، جعلوه محكومة وبمنامات، جعلوه محكومة بكرامات، جعلوه محكومة بخصوصيات، جعلوا الولي في بعض أحواله أفضل من النبي، وجعلوها مَحْكُومة بأنَّ هذا يملك، وأنَّ الله يهب لِمَنْ شاء من عباده ما لم يهبه لأنبيائه، وما لا يضرُّ في توحيدِهِ وإذاً هذا غلط كبير فأدلة التوحيد حَاكِمَة لا مَحْكُومة؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا قال لنا عن القرآن وهو الذي في التَّوحيد من أوله إلى آخره، قال جلَّ وعلا في وصفه: ﴿**وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: ٤٨]. هو مُهيمن على كل الرسل، مهيمن على كل الكتب من قبل ومهيمن على كل حجة؛ فهو حَاكم لا مَحْكُوم عليه.

كل دليل هو في القرآن حتى الأدلة العقلية النَّافعة في **الألوهية والربوبية وفي التوحيد وفي الشرع** والأدلة العقلية مذكورة في القرآن: إما بتصريحٍ أو بإشارة.

فإذن القاعدة أنَّ القرآن حَاكم في أدلة التوحيد لا مَحْكُوم؛ فإذا جاءك أحد تأتي له بأدلة التوحيد يقول لك: "والله هو كذا"، ويأتي باستثناءات، تقول: "القرآن مُهيمن، القرآن حُجَّة، القرآن حَاكم لا مَحْكُوم عليه".

الأصل الثالث: أدلة توحيد العبادة كُلِّيَّة:

أنَّ أدلة توحيد العبادة كُلِّيَّة ومعنى "**كُلية**" -يعني عامة في الأشخاص: في الملائكة في

الإنس في الجن فيمن سبق ومَنْ سيأتي.

وفي "**الصَّالحين**" وما دونهم وفي الأنبياء ومَنْ دونهم وفي الحواريين والرسل ومَن دونهم عامة.

قال الله جلَّ وعلا لنبيه: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ**﴾ أنت يا محمد ﴿**لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥]. صلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد؛ لا يكون منه هذا، ولكن يُبيِّن الله جلَّ وعلا لنا عِظم هذا الأمر: أنَّ أدلة توحيد وواجب التوحيد كلي اطِّراد في الأشخاص في الملائكة: جبريل وميكائيل ومن دونهم وفي الناس من الرسل والأنبياء ومن دونهم وفي الصالحين وفي الأولياء.

ما يأتي أحد يقول: "**لا، هذا ولي ما يدخل في هذه الآية**"، أو "هذا له كرامات هذا قُطْب من الأقطاب لا يدخل في هذه الآية" نبينا محمد لا يدخل في هذه الآية، نقول: هنا الأدلة أدلة التوحيد كُلِّيَّة مُطَّردةٌ في الأشخاص ومطردةٌ في الأمكنة كُلِّيَّة في الأمكنة وكُلِّيَّة في الأزمنة كما قال بعض أهل العلم.

كُلِّيَّة في الأمكنة: يعني ما يستثنى مكان عن مكان:

قبر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، والكعبة وغيرها من الأمكنة كلها تحت سُلطان أدلة التَّوحِيد.

عمر رضي الله عنه أتى للكعبة، ولما أراد أن يستلم الحجر، قال: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ**» هذا توحيد العبادة «**أعلمُ أنك حجر**» جعلَ أدلة توحيد العبادة مشمولة بهذا المكان وهو: أفضلُ مكانٍ عند المسلم.

«وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

ووجه الاستدلال: أنَّه استلمه تعبداً بالاتِّباع وليس لأجل فضلٍ لهذا المكان بالتمسُّح به.

كُلِّيَّة في الأزمنة: ما نأتي لنجعل زماناً مُستثنى مِن الأزمنة الأخرى.

فهذه قاعدة: في أن أدلة توحيد العبادة كُلية –أي مطردة في الأشخاص، في السماء والأرض، الجن والإنس، في الأحوال جميعًا ومطردةٌ في الأمكنة وفي الأزمنة.

الأصل الرابع: أدلة توحيد العبادة مُتنوِّعة:

الرابع: أنَّ أدلة توحيد العبادة مُتَنَوِّعَة **ما معنى مُتَنَوِّعَة**؟ القرآن من العَجب، قال بعض أهل العلم: "**القرآن كله في التوحيد**". قيل له: "لماذا أو كيف كان ذلك؟"، قال لأنه:

- إما في التوحيد نصًا وصراحة.
- أو في حقوق التوحيد من العبادات.
- أو في معركة أهل التوحيد مع خصومهم وهي قصص الأنبياء والمرسلين.
- أو في جزاء أهل التوحيد في الدنيا بالانتصار على المشركين والغلبة عليهم، وأن الله جَلَّ وَعَلَا نصرهم وأعزهم وأكرمهم وأظهرهم على غيرهم.
- أو جزاء أهل التَّوْحِيد في الآخرة بدخول الجنة، وجزاء أهل مضادة التوحيد أهل الشرك بدخولهم للنار؛ فصار القرآن كله في التوحيد، **فإذن هنا** أدلة التوحيد مُتَنَوِّعَة.

إذًا هنا لمَّا تشرح لأحد آية في توحيد العبادة بالأساس، تقول: "هذا الجزاءات التي رتَّبها الله جلَّ وعلا من قوم نوح عليه السلام بأنه أغرقهم وأوعدهم النار، وأنجا نوحًا ومن معه، والأنبياء كذلك جميعًا أنجاهم لماذا؟ لأنهم أهل التَّوْحِيد، وعذَّب غيرهم في الدنيا قبل

الآخرة وأهلكهم؟ لأنهم أهل الشرك والإعراض عن الله، ولم يستجيبوا للمرسلين، فهذا دليل للتوحيد.

لما تُذكر قصص الأنبياء قصص الأنبياء عِظة وعبرة أنت تأتي بها، طيب تأتي بقصة الناس يُحبون القصص مثل ما جاء في القرآن قصص، لكن الله جَلَّ وَعَلَا ما أورد القصص للمتعة التاريخية؛ قال سبحانه في آخر سورة يوسف: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ [يوسف:١١١].

فكل الكتب فيها قصص لكن القصص عبرة لأولي الألباب؛ عبرة كيف؟ أنَّ الله جلَّ وعلا ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

تأتي بالقصة لكن تستحضر القصة؛ لأنَّ بعض الوعاظ مثلاً يأتي بقصص الأنبياء، لكن ما الفائدة من القصة؟ هي أنَّهم نجوا وأُغرق غيرهم، أو عُوقب غيرهم أو أُهلك غيرهم نعم، ولكن لماذا؟ لأن الذي نصرهم الله هم الرسل وأتباعهم أهل التَّوْحِيد أهل أداء حقِّه، وأتباع شريعته.

ولماذا عذب الله الآخرين؟

لأنَّهم أهل الشرك به، لازم تدخل في قصص الأنبياء هذا الأصل وهذه القاعدة.

ولذلك شيخ الإسلام المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما جاء للتفسير: ذكر قصص الأنبياء، كل قصة هي يذكُر فيها للعبرة: أن الله نصر أهل توحيده، وأذل أهل الإشراك به، ولما كتب في سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مختصر السيرة**» كلها دروس في داخلها يبثُّها الذي حصل مع أهل الشرك والذي حصل مع أهل التَّوْحِيد، فأدلة توحيد الإلهية

متنوعة، فتستدل بتوحيد الإلهية بآيات التَّوْحِيد، تستدل لتوحيد العبادة بآيات النهي عن الشرك، تستدل لتوحيد العبادة بنصرة الرسل لأنهم أهل التَّوْحِيد، تستدل لتوحيد العبادة بانهزام وإغراق وهلاك أعداء الرسل الذين هم المشركون.

تستدل لتوحيد العبادة بأنَّ آيات الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]؛ فأول درجات التقوى هي التَّوحيد هذا أعظم التقوى أن تتقي الله جلَّ وعلا بتوحيده بعبادته وحده لا شريك له، هذا أعظم ما يُبعدك من النار.

إذن فما في القرآن مِن جميع أنواع الأدلة هي كُلّها في التَّوحيد، وتفاصيل الشرائع الأحكام -أحكام الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد- كلها من حقوق التَّوحيد وما يترتب عليه.

الأصل الخامس: أنواع دلالة الألفاظ (المطابقة، التضمن، الالتزام):

الأصل الخامس: أنَّ الاستدلال بأدلة التَّوحيد يكون بأحد ثلاثة أنواع من الاستدلالات:

- **إما أن يكون بالمطابقة.**
- **وإما أن يكون بالتضمُّن.**
- **وإما أن يكون بالالتزام.**

لأن نوع الدليل دلالةُ اللفظ أو دِلالة الجُملة على المراد:

١- **الأول بالمطابقة**: وهو المعنى الأول الذي يطابقها وتفهمه من أولها، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]؛ الرب هو الرب الذي خلق ورزق وأعطى ومنع ويخفض ويرفع ويُعز ويُذل. فـ ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ هذه بالمطابقة توجيه العبادة إلى الله جلَّ وعلا المتصف بالربوبية.

٢- وهناك آيات التَّوْحِيد فيها بالتضمُّن:

أي أنها متضمنة لتوحيد العبادة وهو: أنَّ الله جلَّ وعلا بيَّن لنا أسماءه الحُسنى وصفاته العلى.

فكل أسماء الله جلَّ وعلا الحُسنى دالَّة على الذات بالاسمية ودالَّة على الصفات بما فيه من الصِّفة؛ فكل ما فيه من الدِّلالة على الذَّات والدِّلالة على الصِّفات هي دلالةٌ على توحيد العبادة بالتضمُّن لأنها فيه هو جَلَّوَعَلَا المستحق للعبادة لأن الأسماء الحُسنى والصفات العُلى هي متضمنةٌ أنه هو الله الواحد الأحد المستحق للعبادة، لماذا نقول: القرآن كله آخر الآيات أسماء الحُسنى والصفات وأفعال الله جَلَّوَعَلَا؛ لأنها كلها تدل بالتضمُّن عليه.

٣- دلالة الالتزام (اللزوم):

ومعنى اللزوم: أنه يلزم من هذا هذا، وهي أدلة توحيد الربوبية، الله جلَّ وعلا بيَّن لنا في القرآن كثيراً أنَّ المُشركين يُقرُّون بأنَّ الله هو الخالق الرازق المُحيي المميت هو الذي يُجير ولا يُجار عليه، هو الذي يُعطي ويمنع هم يقرون بذلك ويعلمونه حق العلم، ولذلك قال جلَّ وعلا: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٥]. إذن كل ما أقرَّ به أهل الشِّرك –الكفار– مِن توحيد الربوبية سواءً في عصر النبوة أو إلى أي عصر يقول لك: أنا مؤمن بالله، ولكن مسألة التَّوْحِيد لا، أو يقول: الربوبية في القرآن –انتبه لهذه– وهذه قالها ناس كثير من علماء الزمن هذا يقولون: الربوبية في القرآن لم يكن أهل الشرك صادقين بإقرارهم بالربوبية، وإنما ذلك من قبيل المجاز، لم يكونوا صادقين أنهم يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق، إذا كان كذلك فلماذا كانوا إذا ركبوا

في الفُلك واشتدت عليهم المُصيبة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]. لماذا فرَّقوا بين الحالين؟ دليل أن هذا الإيقان عندهم في حال الشدَّة لكن في حال الرخاء يتخذون آلهةً مع الله جَلَّ وَعَلَا.

فإذًا هذه ثلاث تدل على التَّوْحِيد بالآيات.

فانتبه للآيات التي فيها مطابقة، والآيات التي فيها تضمُّن، والآيات التي فيها التزام، وكلها تستدل بها بأنواع مختلفة من الاستدلال.

الأصل السادس: استخدام علوم اللغة العربية وأصول الفقه:

الأصل السادس: استخدام علوم اللغة العربية في الاستدلال بالتوحيد:

مثل أن تعرف معنى الإله؛ فـ "الإله" ليس هو "الرب".

الرب: كلمةٌ من التربية من الربوبية من الخلق الإيجاد المعاهدة التعاهد.

الإله: هو المألوه، (فِعال) بمعنى (مَفعول)، أَلَهَ يعني عَبَدَ، ذَلَّ خَضَعَ.

فاللغة دلتنا على شيء مهم؛ وهو: أن كلمة «رب» غير كلمة «إله» هذا أول فرق مُهم.

فالآيات التي فيها «الرب» غير الآيات التي فيها «الإله» ﴿أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ [النمل:٦٣].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

ليس هو معناها الرب يسألون عن ربهم، إنما يسألون عن معبودهم ليس السؤال عمن خلقهم ورزقهم، أو سؤالهم التَّوْحِيد لا إله إلا الله المنفي هنا والمنفي الخلق والتدبير والرزق والإحياء والإماتة.

أيضًا اللغة دلت اللغة التي تستخدمها في أدلة توحيد العبادة المفردات مفردات اللغة.

والثاني عِلْمُ المَعَانِي فِي اللُّغَةِ، وعِلْمُ المَعَانِي من علومِ البلاغةِ، والبلاغةُ ثلاثُ فُنونٍ: (**المعاني، والبيان، والبديع**)، المُهِمُّ منها لنا في التَّوحيدِ عِلْمُ المَعَانِي وفي التَّفسير، لا يُوجَدُ مُفسِّرٌ يُحْسِنُ التَّفسيرَ إلَّا وهو يُجيدُ عِلْمَ المَعَانِي ضروري.

التَّوحيدُ تحتاج فيه عِلْمَ المَعَانِي مثلاً، في قولِهِ جَلَّ وعَلَا التي يُنكرُها اليومَ العلماءُ الذين يُحبِّذُون الشِّرْكَ ويُحبِّذُون عبادةَ الأولياءِ -مثلاً- في قولِ اللهِ جَلَّ وعَلَا: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: ٣].

﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا**﴾: يعني قالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا عن المشركين في عهدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ الذين أَتَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إليهم: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لشيءٍ واحدٍ ﴿**إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾، يعني ما نعبدُهم اعتقاداً فيهم أنَّهم يَخلقون ويُدبِّرون ولكن ليُقَرِّبُونَا إلى اللهِ الذي يَخلق ويُدبِّر ويُعطي ويَمنع ويُعزُّ ويُذلُّ ويَخفض ويَرفع وحده سبحانه وتعالى؛ ﴿**لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣]، نُريد الزُّلفة نُريد الوسيلة نريد الطريق.

قال أهل المعاني هنا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ**﴾ هذه فيها حصرٌ وقصرٌ إضافي يعني ما نعبدهم لشيء من الأشياء ولا لعلَّةٍ من العِلل -يعني نعتقدها فيهم- إلا لأنهم صالحون من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو الأولياء يُقرِّبون إلى الله زُلفى.

الفرق بين الصنم والوثن والتمثال:

إذن ما معنى عبادتهم للأصنام؟

لفرق بين الصنم والوثن هذه مهمة في مفردات توحيد العبادة:

الصنم: معبود على هيئة صورة، ما صُوِّر على صورة إنسان على صورة شجر على صورة

كوكب على صورة شيء ما هذا يسمى وثنًا ويسمى صنمًا والصنم هو صورة عُبِدَت.

التمثال: صورة لم تُعبَد، التَّماثيل صورة لم تُعبَد.

الوثن: كل شيء عُبِد مع الله جَلَّ وَعَلَا واعتُقِدتْ فيه البركة أو شيئًا من الأُلوهيَّة.

لذلك القبر يسمى وثنًا، كَمَا فِي دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» والصَّليب سماه النبي ﷺ وثنًا لما رآه على صدر عدي بن حاتم فقال له: «أَلْقِ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ» سماه وثنًا صليب ليس على صورة حي مقصود وهكذا.

الأوثان بهذا الشَّكل إذن عندنا صنم وعندنا وثَنْ وعندنا تمثال التِّمثال لا يدخل في بحثنا، التماثيل تدخُل كانت في شريعتنا مُحرَّمة وفي بعض الشرائع قبلنا مُباحة لكن الوثن والصنم مختلِفة.

هم يقولون هنا أنَّ الصنم والوثن تنزل فيه روحانية المَلَك إذا جعلوا صنمًا على صورة ملك بأجنحة له وكذا، فيقول: إنه عند السؤال تنزُل الروحانية على هذا المَلك، وكذلك الوَثَنْ يقولون: إنه ينزل فيه السبب الموصل إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

وهذا أهل التفسير -حتى أهل الكلام مِنهم- قالوا: إنَّ الآيات التي في القرآن في التَّوحيد إنها تشمل العُقلاء وغير العُقلاء، **وهذه من الأدلة اللغوية**: هي أنَّ كل دليلٍ لتوحيد العبادة - **احفظ هذا**- في القرآن:

فهو إما أن يكون للعقلاء وغير العقلاء جميعًا.

وإما أن يكون لغير العقلاء.

وإما أن يكون للعقلاء وحدهم.

إذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] **"عباد أمثالكم"**؛ هذه في العقلاء، فإذا جاءك أحد يقول الأصنام والأوثان عُبِدَت لأنهم عبدوا حجراً وإلا تمراً وإلا شجراً.

الأصل هذا الأخير الاستدلال في المحاضرة.

والاستغلال باللغة في المفردات أو بعلم المعاني.

من أوجه الاستدلال التي يمكن عندكم مشهورة، الذي هو التخصيص، نقول: التقديم للتخصيص مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ [الجاثية:٣٦]. هذا قُدم للتخصيص، وهكذا، هذا من علم المعاني، التقديم للتخصيص، تقديم ما حقه التأخير:

إما للاهتمام.

أو للتخصيص.

﴿إِيَّاكَ﴾ تقديم المفعول هذا للتخصيص، فهذا شيء من شذرات متنوعة في هذا الموضوع المهم، وسيكون لها إن شاء الله تعالى كتابة وتأصيل وبيان حتى تكون عِلماً مُدوَّناً يُشرح مثل ما تُشرح العلوم الأخرى: أصول الفقه وأصول الحديث وأصول التفسير.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

رابط المحاضرة

https://www.youtube.com/live/_RndSYiZLbs

هو العلامة المحقق وزير الدولة عضو مجلس الوزراء معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله جميعًا.

من أوسع العلماء فهماً واطلاعاً، وأطولهم في ميدان العلم باعا، أدرك خلقاً من الأكابر، وأجازه جمع غفير، عالمٌ عاقلٌ، مع حسن خُلق، قرأ وصنّف وامتلك الكثير من الكتب.

ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٧٨هـ، وأكمل تعليمه الثانوي في الرياض، التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين بقسم القرآن وعلومه، وبعد تخرجه منها عمل ضمن هيئة التدريس فيها، منذ ذلك الحين إلى عام ١٤١٦هـ . وفي عام ١٤٢٠هـ صدر الأمر بتعيينه وزيرًا للشؤون الإسلامية. ثم عين بعد ذلك وزير للدولة، وعضو لمجلس الوزراء.

والشيخ -حفظه الله- منصرف إلى طلب العلم وتحقيق المسائل على نحو ما كان عليه علماء الدعوة السلفية وكبار العلماء منذ نعومة أظفاره، ودأب على نشر ذلك وتعليمه في دروسه ومحاضراته وتوجيهاته التي يلقيها في المساجد وفي غيرها.

ومن شيوخه: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ووالده الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، الشيخ عبد الله ابن عقيل، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ عبد العزيز بن مرشد، والشيخ أحمد المرابط الشنقيطي مفتي الديار الموريتانية درس عليه في علوم اللغة، وكان له جلسات ومباحثات علمية متكررة مع الشيخ المحدث حماد الأنصاري.

وقد حرص -رعاه الله- على جمع الإجازات العلمية من شتى أنحاء الأرض، حيث حصل على إجازات عدة من بعض علماء المملكة ومن خارجها.

وله من المؤلفات والتحقيقات التي يحرص على اقتنائها طلبة العلم لما فيها من الشمولية والتدقيق العلمي ما يقارب سبعة عشر عملًا علميًّا.

وشارك في عدد من المؤتمرات في داخل المملكة وفي أمريكا وأوروبا ومصر وغيرها، حفظ الله الشيخ وسدد على درب الخير خطاه.